ترجمة

السيّد فرنسوا بيكه

لحضرة الاب بطرس ساره الراهب اللبناني (تتمّة)

الاسقف والقاصد الرسولي

﴿السفر من مرسيلية الى حلب﴾ مرّت السنة ١٦٧٨ على السيد فرنسوا بيكه وهو في انتظار موعد السفر كأنّهُ يتقلّب على جمر الغضا . فانحاز الى مزرعتهِ واقام مختلياً فيها

وفي تلك الغضون مُني برفاة المسيو غردون تلميذهِ الذي كان اجتمع بهِ ليتفرّغ معهُ الى الامور الروحيّة . مات عن ٨٤ سنة ملأها اعمالَ برّ وقداسة واوصى في وصيّتهِ الاخيرة أن تُوزَّع ورثتهُ على الفقراء وعهدَ بتنفيذ وصيّتهِ الى السيّد بيكه . فأسف هذا كثيرًا على وفاتهِ وأنفذ كل مرغوباتهِ

وقد أتتهُ ايضاً في زمن إعدادهِ لسفرهِ براءة من البابا يوسّع لهُ سلطتهُ ويقيمهُ زائرًا لثلث سنين على قبرس وحلب وطرابلس ولبنان وعلى جميع الامكنة الواقعة في استفنيّة نخشيفان في العجم فزادهُ هذا العبء الجديد تشوّقاً الى السفر للقيام بواجبات مهمّتهِ وقد عيل صبرهُ في انتظار السفير الذي كان قصد السفر على سفينة للملك ماخرة الى الشرق

لم يحضر سفير الملك لويس الرابع عشر الى مدينة طولون التي منها كان السفر الى ارخبيل اليونان فسوريّة الّا في اوائل ايلول من السنة ١٦٧٩ فاسرع السيد بيكه ليرافقهُ واخذ بصحبتهِ ثلثة كهنة من جماعة الاوراتوريّين ارادوا ان يسيروا في رفقتهِ ولم يقبل لخدمتهِ سوى خادم واحد

ركب في ١١ ايلول ١٦٧٩ مع حاشيتهِ السفينة المدعوّة باسم القديس

اوغسطينوس فوجد فيها الشمالية دَرْفيو (Ch. d'Arvieux) الذي كان تعيَّن لقنصلية حلب خلفاً للقنصل بارون وهو صاحب تلك المذكّرات الشهيرة الموسومة باسمه في ستّة مجلّدات بديعة عن الشرق واحواله المختلفة. أمّا السفير المرسل الى الباب العالي فكان اسمهُ دي غِلْيارَاغ (de Guilleragues) وقد ركب سفينة خاصّة للملك

بلغت السفن جزيرة مالطة في ٢٦ من الشهر بعد عاصفةٍ شديدة انهكت قوى السيّد بيكه إلّا انّ ما لقيهُ في الجزيرة من الاكرام والعناية لدى الرهبان الكرمليين اراحهُ قليلًا. وقد سُرَّ في ديرهم لوجوده بين رهبانهم ابنَ داود الشهيد الحلبيّ الذي مرَّ لنا خبر وفاتهِ الصالحة وذكر ولدهِ الذي كان هو سعى الى تسفيره الى فرنسة وترهّبهِ. وزار في الجزيرة رئيس فرسان القديس يوحنا واعيان البلد فبالغوا بالاحتفاء بهِ ورافقوهُ الى المحلّ الذي احتلّهُ القديس بولس الرسول كما ورد في سفر الاعمال (٢٨: ١-١٠) فطلب الى الله ان يشركهُ بغيرتهِ الملتهبة

استأنفت السفن سيرها في ٦ ت ١ وسمَّ اليها سفن غيرها حتى بلغ عددها عشرين مركباً وتميّزت بجملتها الباخرة التي كان الجزائريّون الذين كانوا يطاردون السفن الافرنسيّة فنجوا من شقائهم إلّا ان الانواء البحريّة التي ثارت عليهم كادت تودي بحياتهم فتفرّقت بعض سفنهم وصدم بعضها صخور الجزائر فتحطّم وكادوا ييأسون من الخلاص الى ان بلغوا احدى جزائر اليونان جزيرة سيفالونية فمكثوا فيها ثمانية أيّام ينتظرون هدوء البحر. وكان السيّد الاسقف بيكه خائر القوى فاقي هناك قليلًا من الراحة ومع ضعفهِ لم يشأ ان يهمل تقدمة القداس يوماً واحداً

ثمَّ واصلت السفن سفرها الى جزيرة سرينو (Cerigo) حيث ودَّع السفير السيّد القاصد ليسافر الى الاستانة على سفينتهِ الملكيّة. اما سفينة السيّد فرنسوا بيكه فسارت الى جهات سوريّة فوصلت الى الاسكندرونة في ٦ ت ٢ فنزل المدينة وقضى في احدى مزارعها عشرة أيام ريثما تتألّف قافلةٌ لتسافر الى حلب

فلمّا انتظمت تسافر بصحبتها ماريًّا على انطاكية فامتعض من نظرهِ لتلك الحاضرة الشهيرة التي كانت من اكبر حواضر النصرانيّة وهي الآن شبه قرية ذليلة لم يبقَ من كنائسها الشهيرة الّا الأنقاض

ما عرفت حلب بقدوم قنصلها القديم بعد غيبتهِ ١٨ سنة حتى هبَّت كبارها

وصغارها على اختلاف الملل والمذاهب الى استقباله بأبهى مجالي الفخر والابتهاج. والقلم يعجز عن وصف ما كان يخالج قلوب اهل الشهباء من شواعر المحبة والاعتبار نحو من عرفوهُ مثال التفاني وعنوان الشرف والاستقامة وآية السخاء والكرم وعون التاعس وسلوان البائس. ولم يكن هو دونهم فرحاً عند رؤيتهم وقد اتاهم اليوم كرسول السلام

وانما امتزج فرح السيد بفقد اثنين من الثلثة الكهنة الذين صحبوه فقضى واحدٌ نحبهُ عند وصولهِ حلب واضطرّ الثاني الى الرجوع الى وطنهِ لجهلهِ لغة البلاد فبقي معهُ واحدٌ الاب كزمون الذي رافقهُ الى العجم فكتب الى رئيسهم العام يطلب قدوم غيرهم

﴿ السيد بيكه في حلب ﴾ قضى فيها نحوًا من سنتين بصفة زائر رسولي نَعِمَتْ فيهما حلب وسكانها بحضورهِ واستفادوا من اعمال غيرتهِ وتفانيهِ كلّ الافادة اذ صرف المجهود في تثبيت ابناء الكنيسة بالايمان وردّ المنفصلين عنها الى حظيرتها

وقد مرّ لنا ذكر نصارى حلب وحنان السيد بيكه على اهلها المرارنة في عهد قنصليتهِ ودفاعهِ عنهم واطرائهِ لمحامدهم وخصوصاً لثبات تعلقهم بالكرسي الرسولي ووجد عند عودتهِ انهم لا يقلّون عن مئتي عيلة . فحرص على شؤونهم وشمل بعنايتهِ اهل لبنان بصفة كونهِ زائرًا رسوليًا لهُ

وكان الروم اوفر عددًا من سواهم بين الطوائف المسيحيّة يتراوحون بين ثمانية عشر الى عشرين الف نسمة . وقد وجدهم السيد بيكه منقسمين الى حزبين ينتمي كلّ منهما الى بطريرك خصوصي يُدعى الواحد كيرلس وهو حفيد البطريرك مكاريوس بن زعيم والآخر ناوفيطوس مطران حماة وكان كلاهما اخرج فرماناً من الاستانة لنفيهِ وتناقم الشرّ ودامت الفتنة عدّة سنين الى ان سعى السيد بينكة الى اصلاحهما فتنازل ناوفيطوس لخصمهِ على شرط ان يفي لهُ ديونهُ

وكذلك الارمن وعددُهم من عشرة آلاف الى ١٢ الفاً تقرّب اليهم ليثبت لهم ضلالهم في قضية طبيعتي السيد المسيح

اما السريان فكان بطريركهم اندراوس اخيجان توفي قبل وصولهِ بنحو سنتين فاختار الكاثوليك بساعي المرسلين الكبوشيين واليسوعيين خلفاً لهُ اغناطيوس بطرس

شاهدين اسقف القدس. ثمَّ نال لهُ المرسلون من رومية الدرع المقدَّس لتثبيته . فلمَّا وصل السيِّد بيكه في تلك الاثناء الى حلب عُقدت لهُ حفلة تقلَّد فيها الدرع المقدَّس بحضورهِ وحضور اساقفة جميع الطوائف بالحلل الحبريَّة . وخطب السيد بيكه بالعربية مثنياً على فضائل البطريرك وداعياً للطائفة السريانيَّة بالنجاح . ثمَّ تصدَّى السيد المذكور لمساعي حبيب الاسقف اليعقوبي الذي ارسلهُ بطريرك اليعاقبة لمناهضة البطريرك بطرس فأشار عليهِ بيكه بالسفر الى الاستانة لكي ينال بواسطة سفير فرنسة فرماناً يثبتهُ في رتبتهِ . فحصل على ما طلب وعاد ظافرًا الى حلب (١) وارسل الى البابا اينوشنسيوس الحادي عشر صورة ايمانهِ واعلن بشكرهِ الى السيد بيكه ثمَّ دعاهُ ليرئس حفلة عيد البشارة في كنيستهِ . فتوثَّقت عرى الصداقة بينهُ وبين السيد البطريرك وكتب في امرهِ الى جلالة الملك لويس الرابع عشر فارسل لهُ إحساناً يبلغ مئتي ريال

ومن المساعي الطيِّبة التي تكلَّفها السيِّد بيكه اصلاح خلاف كان وقع بين المرسلين اليسوعيين والفرنسيسيين بخصوص خدمة معبد القنصليَّة في حلب فعرض الامر على رومية ثبتَ فيهِ حكمها

ومن اعمالهِ المشكورة ايضاً في حلب تثبيتهُ للعابدات اللواتي كان الكبوشيون تزلوا ارشادهنَّ وكنَّ نحو عشرين عابدة فادخارهنَّ في عداد راهبات رهبنتهم . فزارهنَّ الاسقف بيكه وألقى عليهنَّ ارشادًا بليغاً ثبَّتهنَّ فيهِ على دعوتهنَّ . فشكَرْنَهُ شكرًا جزيلاً لتلطُّفهِ

وكان السيِّد بيكه لا يدع فرصةً لالقاء الواعظ في كنائس حلب وكان على الاخصّ يهتمّ بشرح التعليم المسيحيّ في الشعب لما كان يراهُ من جهلهم لحقائق الدين . فكان الجمهور يتقاطر الى استماع كلامهِ والارتشاد بتعاليمهِ

﴿سفر السيِّد بيكه من حلب الى العجم﴾ كان نصارى العجم من ارمن وسريان ونساطرة يكاتبون السيِّد بيكه ويطلبون اليهِ ان يعجِّل فيذهب الى جهاتهم ليُعنى بامورهم الروحية . وكانت هذه ايضاً نيَّتهُ إلَّا انهُ لم يحصل على الجواز من الدولة لسفرهِ فطلب من ملك فرنسة ان يُعيِّنهُ سفيرًا خارق العادة لدى شاه العجم . فصادف اقتراحهُ هذا استحساناً في باريس ورومية معاً وكتب الملك لويس في ذلك الى سفيرهِ

(١) اطلب السلاسل التاريخيَّة للبكنت فيليب دي طرَّازي (ص ٥٩–٦٨)

في الاستانة والى شاه العجم موصياً بهِ وواعداً بتقدمة بعض الهدايا

﴿مرورهُ في ديار بكر﴾ ولما استحضر كلّ معدّات السفر غادر حلب في اواسط نيسان ١٦٨١ وكان فراقهُ مُرًّا على الحلبيين ووداعهم لهُ مؤثرًا ايّ تأثير . وبعد مسير خمسة عشر يوماً وصل ديار بكر في غرّة ايّار فاستقبلهُ السيد يوسف بطريرك الكلدان واساقفة الارمن والمرسلون الكبوشيّون استقبالًا تجلّت فيهِ مظاهر العظمة والتكريم اللذين اشترك فيهما جميع الطوائف على اختلافها . ودعاهُ مطران الارمن الى قداس حافل خطب فيهِ عن فضائل السيّد بيكه وشبّههُ بملاك مرسل من الله لتعزية شعبهِ

امّا البطريرك يوسف الاوّل فقام مع كلّ طائفتهِ بخدمتهِ مدّة حلولهِ في ديار بكر . وكان القاصد الرسولي يجلّ ذلك الحبر القديس ويثني الثناء التامّ على ثباتهِ في الايمان على الرغم ممّا لقيهُ من الاضطهادات وضروب المحن من خصومهِ النساطرة الذين تآمروا على قتلهِ غير مرّة . فكان مرور السيّد بيكه في آمد عضداً جديداً لروحهِ وللقطيع الصالح التابع لهُ وخطب مبيّناً اضاليل بدعة نسطور وصحّة تعليم الكنيسة . وقد كتب السيد بيكه رسائل الى رومية يبسّط فيها عن مخامد البطريرك يوسف . واستطاع هو ان يساعدهُ في وفاء الدين على كرسيّه . وقد عاش البطريرك زمناً بعد ذلك . ثمّ طلب من الكرسي الرسولي الاستقالة عن البطريركيّة لعجز الشيخوخة وذهب الى رومية وفيها مات ميتة الابرار سنة ١٧٠٧ ودُفن في مصلّى مجمع انتشار الايمان (١)

سافر الاسقف بيكه من ديار بكر في ٧ حزيران مع حاشيتهِ وترجمانٍ قدّمهُ لهُ الآباء الكبوشيّون وهو كاهن سرياني كاثوليكي من ماردين يُدعى سَفَر يعرف اللغات العربيّة والتركيّة والفارسيّة والارمنيّة وكان على جانب عظيم من التقوى . فاقتبلهُ رجل الله بملء الرضى وجعل اليهِ تدبير امور منزلهِ فقام بهذه الوظيفة بكل دقة وامانة بل افاد التاريخ بما دوّنهُ عن رحلة السيد بيكه وتفاصيل اعمالهِ

كان سفر السيّد بيكه على طريق ارزروم الى اريفان فتقطعهُ بسبعة عشر يوماً

(١) اطلب ترجمتهُ للتلميذ باسيليوس صيد مطران آمد (في المشرق ١٩ [١٩٢١] : ١٢٤–١٢٨)

متحملًا بصبر عجيب مشاقّ السفر . فاستقبلهُ بارزروم اسقفنا الارمن الكاثوليك والغريغوريين واعيانها فوجدوا في لطفهِ ما عطّر لسانهم بثنائهِ واهداهم بعض الكتب التقويّة والجدليّة في لغتهم

وكان يودّ لو يبقى مدّة في ارزروم وهي من حواضر تركيّة لكنّهُ راى انّ عمّال البلاد يطمعون في هباتهِ الماليّة لما رأوهُ من بهاء مَوكبهِ وحاشيتهِ فعدل الى دير منفرد للارمن ينتظر القافلة التي تسير بهِ الى تبريز . فوجد هناك الاسقف قرتان الكاثوليكي الذي كان تخرّج في مدرسة انتشار الايمان فرحّب بهِ واكرم مثواه

ثمّ انضمّ الى القفل وسار بمعيّتهِ فنزل في احدى مراحلهِ ديرًا آخر للارمن على ضفّة نهر دجلة يُعرف بدير القدّيس يوحنّا الصابغ كان يرئسهُ مطران يدعى اسحاق فأراه كنيسةَ الدير وهي من اجمل كنائس الارمن وقد كان اخرب جانباً منها تيمورلنك في اواخر القرن الرابع عشر غير ان كرم امير تلك البلاد المدعو محمّدًا وهو من اصدقائهِ أنفق عليها من مالهِ فرمّمها واصلحها . وعند خروجهِ من الكنيسة عاين جمهورًا كبيرًا كان اجتمع في ساحتها لسُوقٍ شهيرة كانت تقام هناك . ورأى على جدار الكنيسة كتابةً ارمنيّةً كان يؤخذ من موادّها انّ ذاك البناء راقٍ الى عهد الاسقف اسرائيل في القرن الخامس للمسيح وانّ رسول الارمن القديس غريغوريوس المنوّر كان صبغ هناك بمياه المعموديّة ١٢،٠٠٠ من الوطنيّين في عهد الملك تيريدات

ثمّ سار اسقف سيزاروبوليس مع القفل فبلغ بعد يومين الى قصر يُدعى « عين قلمة » وكان مُلكًا لبايزيد احد امراء الدولة العثمانيّة . وهو من اجمل الابنية مشيَّد فوق صخرٍ عالٍ ولهُ القاعات الفخمة والاروقة الواسعة . فلمّا نزلوا الى الساحل ليستقضوا الرسوم المعتادة . فاستعدُّوا لأدائها واذا برُسُل غير الاوّلين أتوا واستدعوا الاسقف الى دار بايزيد امير القلعة وهو شيخ وَقُور فاضل فصعد الى قصرهِ مع حاشيتهِ وترجمانهِ وقلبهُ يُوجس خوفاً من تلك الدعوة لئلّا يسومهُ الامير خسفاً . على ان الامر كان على خلاف ما توهّمهُ فبسط الامير قلبهُ واجلسهُ قربهُ وجاذبهُ اطراف الحديث ثمّ دعاهُ الى عشاء فاخر واكرمهُ اكرامهُ لأعظم الامراء وألحّ عليهِ في ان يقيم عندهُ مدّةً فاعتذر بكونهِ مضطرًا الى السفر . وعرض على ترجمانهِ الكاهن سَفَر ان يقيمهُ في قصرهِ مدبّرًا ومعلّماً لاولادهِ فشكرهُ مُعربًا عن اسفهِ لعدم الاجابة الى طلبهِ

وهو في خدمة الاسقف . ثمَّ ودَّعوا الامير وانضمّوا الى القافلة في الساعة الثالثة من الليل

﴿ وصوله الى نخشيڤان ﴾ وما لبث ان انقسم القفل فذهب معظمهُ على طريق تبريز وعدل الاسقف وحاشيتهُ الى طريق اريڤان مارًّا على مدينة «وُشا كيليسه» الواقعة على حدود العجم حيث سُرَّ باضافتهِ ثلثة أيام اساقفةٌ ورهبانٌ ارمن باسيليون في دير على اسم القديس غريغوريوس المنوّر . ثمَّ وصل بعد ستَّة ايام الى مدينة اريڤان وهي من قصبات بلاد العجم في ارمينية العليا . ولما بلغ حاكم البلد خبرُ قدومهِ أرسل يدعوهُ الى منزلهِ فضافهُ احسن ضيافة مدَّة خمسة أيَّام . وكان سفرهُ منها في غرَّة آب الى نخشيڤان وهي مدينة كبيرة يزعم الارمن انها اوَّل مدينة بُنيت عقيب الطوفان وكانت تخص الاتراك فطردهم منها ملك العجم الشاه عبَّاس ودمَّر ابنيتها . فلم يَبتْ فيها السيِّد بيكه وانَّما زار واليها فقط وتابع سيرهُ الى مدينة اباتَوير وهي اعظم مدينة يسكنها الارمن الكاثوليك في تلك الانحاء يسوسهم فيها اسقف من طائفتهم . فاسرع الاهلون الى استقبالهِ باهازيج الفرح وساروا بهِ الى دير الارمن حيث نزل ضيفاً كريماً

وتلك العائلة قد توفَّر فيها عدد الكاثوليك وهم يمارسون واجباتهم الدينيَّة بكامل الحرِّيَّة منذ اربعمائة السنة . والفضل يعود في ذلك الى فرع من رهبنة القديس دومنيك يُعرف رهبانُها بالأخوة المتَّحدين يرتقي تاريخهم الى زمن البابا يوحنا الثاني والعشرين الذي بلغهُ سنة ١٣١٨ انَّ قسماً من البلاد الواقعة تحت حكم التتر في ارمينية لا راعيَ لهم ويطلبون مَن يخدمهم في الروحيَّات فارسل البابا المذكور بعض الرهبان الدومنيكان اليهم وسقَّف واحداً منهم على مدينة مراغة اسمهُ برتلماوس البولوني الملقَّب بالاباليالي فسار اليهم مع اخوتهِ واجتذبهم الى الايمان القويم بكلامهِ وقداسة حياتهِ وردَّ احد رؤساء ادبرتهم المدعو اسحاق وامير مدينةٍ تُدعى كرنة المدعوّ جرجس فساعدهُ كلاهما في نشر الدين الكاثوليكيّ بين مواطنيهما

وكان للامير ابنٌ اخ يدعى يوحنا . فهذا عرف انَّ اقرب وسيلة لتثبيت الايمان في تلك الانحاء ان يُنشئ رهبنةً جديدة متَّحدة مع رومية دعاها باخوة القديس غريغوريوس المتَّحدين ثبَّتها البابا يوحنا ورأس عليها يوحنا المذكور وسمح لهم بان يجروا في ترتيبهم

وقوانينهم على نظام قوانين الرهبنة الدومنيكيَّة. ثمَّ التمسوا من البابا اينوشنسيوس السابع بعد مدَّةٍ ان يعتبرهم الدومنيكان كأحد فروع رهبانيَّتهم ودُعي اقليمهم «اقليم نخشيڤان»[1]

فحلَّ اسقف سيزاروبوليس بين اولئك الرهبان الذين تهلَّلوا فرحاً لقدومه. وكان اسقف نخشيڤان قد توفي منذ ثمان سنوات ففوَّضهُ البابا اينوشنسيوس الحادي عشر ان يقيم لهُ خلفاً ويزور تلك المقاطعة. ولمَّا جمع الرهبان وكهنة الرعايا اصحاب الاصوات وطلب اليهم ان يختاروا لهم اسقفاً اجمعوا على انتخاب السيِّد بيكه ولم يريدوا غيرهُ الى ان اقنعهم ان يختاروا لهُ مساعداً يستنيبهُ عنهُ في تدبير تلك الابرشيَّة التي كان عدد اهلها نحو عشرين الفاً فاختاروا لتلك النيابة احدَهم الراهبَ «سبستيان كناب» الالماني الاصل. فلمَّا سُقف وتسلَّم تدبير رتبتهِ قام السيِّد بيكه وتجوَّل في انحاء تلك المعاملة يزورها ويرشد شعبها ويشرح لهم كلَّ يوم التعليم المسيحي ويثبِّت بالميرون صغارَهم ويُصلح ما طرأ عليهم من الخلل ويتوسَّل الى امراء البلاد بان يكفُّوا عن اولئك الكاثوليك معاملاتهم الظالمة في دفع الاموال الاميريَّة ومعاقبتهم بالحبس والضرب. وطلب الى شاه العجم ان يُبطل سُنَّةً جائرة كان سنَّها قبلاً وفتحت باباً واسعاً للجَوْر وذلك انهُ امر بان يُعطى كلُّ من يُسلم مارقاً من دينه حقوقَ الوراثة على كلِّ اموال عيلتهِ. فخدع طمعُ المال كثيرين فأسلموا. فتوسَّط الاسقف الى شاه العجم ونال منهُ الغاء تلك السُّنَّة العظيمة

﴿سفر الاسقف بيكه الى اصفهان﴾ قضى السيِّد بيكه في ابرشيَّة نخشيڤان خمسة اشهر وهو يطوف في تلك الجهات لا يكاد يذوق راحةً والجميع يتقاطرون اليه يعرضون عليهِ كلَّ مهمَّاتهم المادِّيَّة والروحيَّة فكان يقضي الايَّام في خدمتهم بلطف وتفانٍ استعبد بهما قلوب الجميع

ولمَّا حان الوقت لسفرهِ وكان قد قرب فصل الشتاء رأى الاهلون انحرافاً في صحَّتهِ فتوسَّلوا اليهِ بان يؤخر سفرهُ الى الربيع ولم يزالوا يلحُّون عليهِ ذاكرين لهُ الاخطار التي تحيق بالمسافرين في ذلك الفصل حتى اجاب الى ملتمسهم ثمَّ تحقَّق قولَهم بما قاساهُ

---

١) قد نشر حضرة الاب تورنيزيز تاريخ هذه الرهبانيَّة في مجلَّة المشرق المسيحي
F. Tournedize : Les Frères Uniteurs ou Dominicains arméniens (ROC 1921)

في ابارنير من نفحات الرياح ومعرّة البرد فتراكمت الثلوج وانقطعت المواصلات بين انحاء البلاد وكان لا يكاد يستدفئ وهو ينام على الحضيض ويسكن في غرفة رطبة باردة ويقيم باكرًا الذبيحة الالهية في الكنيسة حيث كان يجمد شكلُ الخمر في كأسه

ومع هذا لم ينقطع عن الشغل بل كان يقضي نهارهُ إمّا بالصلاة وإمّا بالكتابة والدرس عند فراغهِ من خدمة الاهلين. وفي تلك المدّة رُقّي الى درجة الكهنوت بعض الرهبان الدومنيكيين وكرّس في يوم خميس الاسرار الميرونَ المقدّس واحتفل برتبة غسل الاقدام وقام بنفسهِ يخدم على المائدة الفقراء الذين غسلَ ارجلَهم. ثمّ احتفل معهم بعيد الفصح احتفالًا باهرًا وكان وقوعهُ في تلك السنة في ٢٩ آذار

وفي غضون ذلك اتاهُ كتاب من الملك لويس الرابع عشر في طيّه كتاب آخر الى شاه العجم يخبره بان الهدايا المرسلة ستصلهُ قريبًا. فاستعدّ لسفرهِ وبعد قليل توجّه الى اصبهان مارًّا في طريقهِ على تبريز. وكان يسير في رفقتهِ راهبان من الدومنيكيين احدهما رئيس رسالة نخشيقان والآخر رئيس دير ابارنير. وعرّج في طريقهِ على بعض الامكنة اجابةً لرغبة السكّان وزار في بلدة اغوليس كنيستها البديعة وتبارك باكرام ذراع القديس ترما الرسول المصون بين ذخائرها. واقام عند اولئك الاعياد الفصحيّة على حساب الشرقي

وكان بلوغهُ الى تبريز في ٢٨ نيسان وهي من حواضر تلك البلاد ومن اوسع مدن الشرق تجارةً. وكان للآباء الكبوشيين فيها دير فحلّ عندهم ضيفًا جليلًا. وبعد ان سلّم براءةً من المجمع المقدّس لاسقف تبريز الارمني وتحقّق صدق ايمانهِ اقام في كنيستهِ قداساً حبريًّا حضرهُ جمهور غفير فألقى عليهم عظةً نفيسة فسّرها لهم ترجمانهُ الكاهن سَفَر. ثمّ زار حاكم المدينة فتحفّى بهِ وبالغ في اكرامهِ ودعاهُ الى تناول الطعام على مائدتهِ. فشكرهُ السيّد الاسقف وطلب اليهِ ان يخصّ بنظرهِ الكاثوليك الذين تحت امرهِ. وقد جرت في تبريز كرامةٌ على يدهِ اذ شفى بصلاتهِ رجلًا من الارمن الغريغوريين من وجع اليم في اذنيهِ وردّهُ بذلك الى الايمان الكاثوليكي

قضى السيّد بيكه شهرًا في تبريز. ولما سافر منها وعرف الحاكم انهُ مُرسل كسفير ملك فرنسة الى سيّدهِ الشاه اضطرّهُ ان يقبل في رفقتهِ مهندارًا يمهّد لهُ طريقهُ. غير انهُ استاء من سوء معاملة المهندار للسكان فردعهُ الاسقف الصالح واوجب عليهِ

ان يردّ لهم ما اغتصبهُ من مالهم . ولمَّا عرف الاهلون نزاهتهُ وفضلهُ اقبلوا على اكرامه في المدن التي مرَّ فيها كسلطانيَّة وقمّ وقاشان

﴿السيد بيكه في اصبهان﴾ وصل السيّد بيكه الى اصبهان بعد ٤٢ يوماً قضاها في طريقهِ فصار لهُ عند دخولهِ استقبال حافل من قبل الدولة واهل المدينة وخصوصاً من الكاثوليك . فلمّا دخلها اخذت سلامهُ فرقةٌ من ضباط البلاط الملوكي وسازوا به الى قصر أعدُّوهُ لهُ وحاشيتهِ على نفقة الدولة

اصبهان عاصمة العجم وحاضرة المملكة ومركز الشاه يحيط بها سورٌ منيع وهي متَّصلة بمدينة جولفا (جَي) مقرّ الارمن يفصلها عنها نهرُ زَندران الذي فوقهُ جسرٌ محكم الصنع . وفي جانبي الطريق الى المدينة اشجار وارفة الظلّ وحدائق غنَّاء للشاه . أمَّا اهل المدينة فمسلمون من اهل الشيعة

كان هذا السفر الطويل أنهك قوى الاسقف فاعتلّ أياماً ولزم الفراش وكذا اصاب بعض رفقتهِ منهم الكاهن كَزْمون الذي عرض لهُ داء عياء فتُجع الاسقف بوفاتهِ بعد شهر ونعاهُ الى جماعتهِ في باريس طالباً ان يرسلوا لهُ كاهناً آخر عوضاً عنهُ

ولمَّا تعافى السيد بيكه اجتمع بالمرسلين اليسوعيّين والكبوشيّين في جُولفا واستطلعهم طلع احوالهم وعلم منهم ان رسالتهم تبعث الامل في ارتداد كثيرين من المنفصلين الى الوحدة الكاثوليكية . ثمَّ خصَّ قسماً من زمانهِ لزيارة ارباب الطوائف واعيانها وهو في انتظار الهدايا التي بشَّرهُ الملك لويس الرابع عشر بارسالها الى الشاه ليمكنهُ ان يزورهُ رسمياً . وكان الشاه منشغلاً وقتئذٍ هو وحاشيتهُ باستقبال ملك التتر الذي تنازل عن عرشهِ لشقيقهِ ومرَّ باصفهان ليذهب الى مكَّة ويقوم بفريضة الحجّ . فامر الشاه لاكرامهِ بمهرجان عظيم وجرت مناورات وألعاب فروسيَّة وغيرها تقاطر الناس لمشاهدتها وتبادل الملكان الهدايا الفاخرة ودامت تلك الاعياد أياماً الى ان سافر ملك التتر مشيَّعاً بموكب عظيم

﴿زيارة بيكه لشاه العجم﴾ على انَّ السيّد بيكه لم يمكنهُ بعد ذلك ان يتأخَّر عن المثول امام الشاه عبَّاس فبأنَّهُ أسفهُ عن عدم ورود هدايا ملك فرنسة وطلب ان يعيّن لهُ يوماً يدخل عليهِ فيقدّم لهُ فرائض التجلَّة والاكرام فسُرَّ الشاه بطلبهِ

وقرَّر لمثواه يوماً من اعيادهم دعاهُ فيه الى مأدبة فاخرة مع جميع سفراء الدول في اصفهان

. فاستعدَّ السيد بيكه لهذه المواجهة واضطرَّهُ المرسلون وجميع النزَّالة الاوربيَّة في اصفهان الى ان يتَّشح بثياب من الديباج والقصب كسفير ملك فرنسة مع نفوره من هذه الملابس ورافقهُ ستَّة من الفتيان البسوهم الحرير واركبوهم بخدمته ممتطين الخيل المطهَّمة عليها السروج المزركشة . وفي الموعد المضروب سار السيد بيكه بموكب حافل الى قصر الملك مارًّا بشوارع المدينة حتى بلغ الى ميدان رحب الارجاء تحيط به الابنية الفخمة على احسن طراز شرقيّ يسكنها حرَم الملك وحشمهُ . وامام الابنية رواق جميل على جانبه المخازن المشحونة بكل اصناف التحف الشرقيَّة والعجميَّة . وفي الصدر قصر الملك وواجهتهُ مزدانةٌ بالقاشاني الملوَّن المنقوش بنقوش غاية في الحسن والتفنُّن . وامام القصر جوادُ الملك مسرج بوشي من الذهب والجواهر وبقربه أسود ونيران وفيلة مربوطة بسلاسل فضيَّة بينها الحيوان المعروف بوحيد القرن

فلمَّا بلغ ماركب مراقي القصر انشقَّ [illegible] قاعة كان يجتمع فيها سفراء الدول فجلس في مكان أعدَّ لهُ . وما تمَّ ان أُدخل نيران من قبل الملك فأدخلا السفراء الواحد تلو الآخر الى قاعة المقابلة واذا هي مزدانة بافخر الرياش مفروشة بطنفسة من الدمقس قطعة واحدة وسقفها منقوش بالنقوش الخالبة للابصار باللونين الذهبي والسنجرفي وفيها المرايا الجميلة تنعكس فيها صور القاعة . وفي وسط ذلك النادي حوضٌ كبير يقيس نحو ستَّة اقدام مربَّعة على كل زاوية منهُ عمود محلَّى بالذهب يعلوهُ مصباح من البلور . والماء ينور منهُ على ابهى مثال

وكان الملك جالساً في صدر القاعة على عرش مرصَّع بالحجارة الكريمة وعلى جانبيه سبعة وزراء واثنا عشر من الفتيان حسان المنظر . فدخل السيد بيكه في اثر الجميع ومثَلَ امام الشاه منحنياً باحترام ثمَّ قدَّم لجلالته كتاب ملك فرنسة بغلاف ثمين وفاه بخطاب بليغ معرباً عن غاية سفارته وهي رغبة مولاه في توثيق عرى المودَّة والعلاقات القديمة بين المملكتين . واتَّسع في ذكر ما للشاه من المحامد والصفات ودعا لهُ بتأييد الملك وتخليد عرشهِ اسعاداً لرعيَّته وتمجيداً لوطنه

ولما اتمّ السيد بيكه خطابهُ تقدّم الكاهن سَفَر تفسّره للشاه بالتركيّة فهشّ الملك لاستماعهِ ثمّ قرّب الخطيبَ الى شخصهِ ليحدّثهُ ويسألهُ عن احوال اوربّة وعن صحّة ملك فرنسة وجميع احوال مملكتهِ فاجاب السفير عن كلّ ذلك بالتفصيل وعند النهاية من الكلام دعاهُ الى الجلوس على دكّةٍ لطيفة من العاج عليها قطيفة مزركشة بالذهب. ثمّ عزفت الموسيقى واتوا ببساط هندي ثمين بُسط امام السفراء وصُفّت فوقهُ صحاف المائدة من الذهب الابريز لكل سفير صحيفة. وكانت الاطعمة والخمور من افخر ما يهديهُ الملوك

وبعد الغداء استأذن السيّد بيكه وخرج من عند الشاه مع جميع السفراء والكل منذهلون ممّا لقيهُ السفير الفرنساوي من حسن المعاملة فزاد بذلك اعتبارهُ لدى الجميع وتوفّرت لديهِ الوسائل لتعزيز اعمال الرسالة فأصلح ما أمكن إصلاحهُ وكتب الى المجمع المقدّس يقترح عليهِ اصلاحات اخرى تضمن توحيد قوى الكاثوليك ونجاح امورهم في المستقبل. ومن جملة ما طلبهُ انشاء مدرسة اكليريكيّة في تلك الربوع

ومما توفّق في نيلهِ من تعطّف الشاه ان يُبطل عادةً اتّخذها من اسلافهِ وهي انهُ كان في كلّ سنةٍ في عيد الدنح يختار اربعة من فتيات النصارى فيضمّهنّ الى حرمهِ او يقدّمهنّ الى اصحابهِ مُعلناً بإسلامهنّ

قضى السيّد بيكه سنتين في اصفهان. ناشراً عَلَم التقوى والغيرة بين الجميع. وفي اثناء اقامتهِ هناك قدِم الابوان المرسلان «روك وساسون» اللذان كان طلبها لمرافقتهِ وكانا حاملَيْن خبر تعيينهِ اسقفاً على بغداد لوفاة اسقفها لويس دوشمان المارّ ذكرهُ. وفي الوقت عينهِ وردت عليهِ براءة البابا اينوشنسيوس الحادي عشر تُشعرهُ باليوبيل القرني فاستنسخها وذيّلها بتوصيات منهُ ووجّهها الى بغداد وتبريز والبصرة وشيراز والى بلاد الكرج واعلن هو بها في اصبهان منتحاً ذلك اليوبيل في جولفا باحتفال عظيم في كنيسة المرسلين اليسوعيين فاقبل جمهور المؤمنين الى ربح تلك النعمة الجزيلة وقاموا بكل شروطها وكان السيد بيكه تقدّمهم بوفائها صائماً ثلثة أيام. وبهمّتهِ وارشاداتهِ في اصبهان ردَّ الى حجر الكنيسة بعضاً من المراطقة الكلوينيين وانقذ من سجن البطريركِ الارمني العازر الاسقفَ ڤارتان الكاثوليكي الذي كان وشى بهِ اعداؤهُ ودفعوا البطريرك الى حبسهِ وهو بريء. الساحة

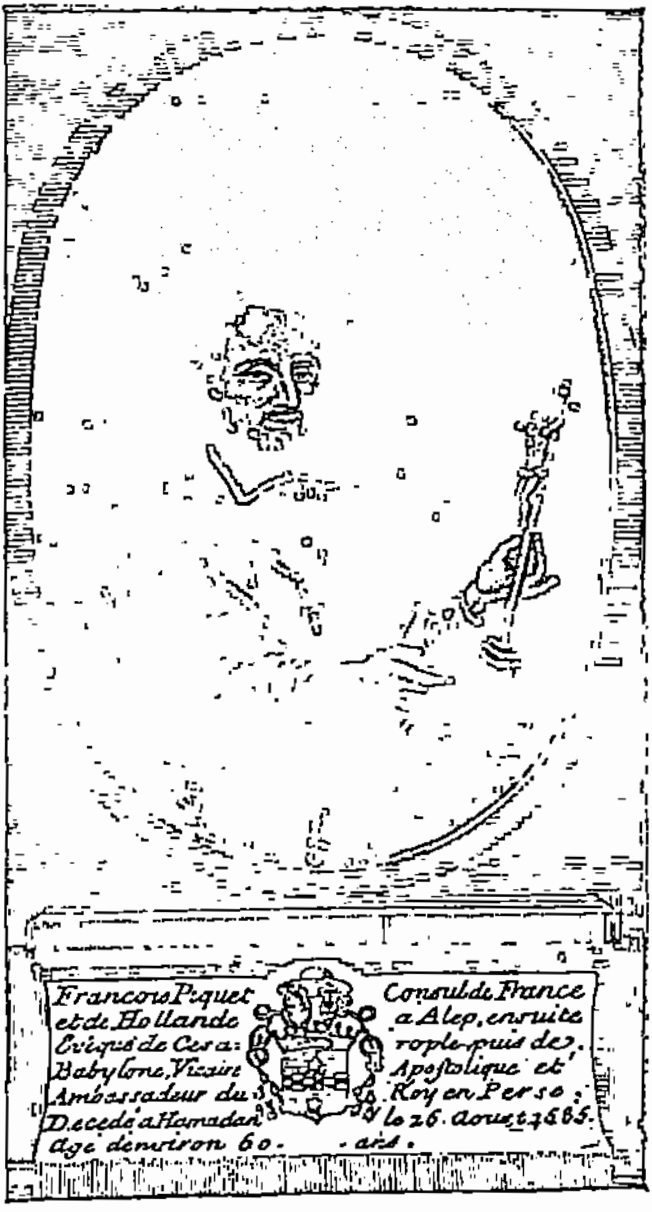

الاسقف فرنسوا پيكه († ١٦٨٥)

(عن صورة قديمة)

كان السيد بيكه ينتظر بفروغ الصبر ورود الهدايا الموعود بها من قبل ملك فرنسة حتى فرغ صبرهُ ووجد عند الشاه بعض النفور من ذلك التأخر الى ان قدم اخيرًا من باريس الابوان اليسوعيَّان لونجو وبوتيه (Longeaux et Pothier) في ١٥ ت ١ حاملَيْن تلك الهدايا بعد ان صرفا سنةً كاملة في سفرٍ قاسيا فيهِ اشقّ الاتعاب واعظم المخاطر . ثمَّ نظم تلك الهدايا وارسلهـا مع كتاب الى الملك صحبة امين اسرارهِ الاب سَفَر واليسوعيَّيْن الوافـدَين وكان الشاه وقتئذٍ خرج يتفقَّـد الجيش فاستقبلهم بتمام الارتياح واحتفى كثيرًا باشخاصهم وضرب لهم خيمةً بقرب خيمتهِ في وسط المعسكر واكرم ضيافتهم . وكانت الهدايا تتألَّف : ١) من ساعتين كبيرتين تعيّنان حركات الشمس والقمر صباحَ مساء مع حركات السيَّارات وعلاقات بعضها الى بعض مع تدوين ازمنة الايام والشهور والسنين . ٢) من مرآة صقيلة مركَّبة من معـادن مختلفة . ٣) من أسطرلابين من البرونز المموَّه بالذهب مع الارقام اللاتينيَّة والعربيَّة . ٤) واخيرًا ثمانية مجلَّدات رُسمت عليها رسماً جميلًا قصور فرنسة الملوكيَّة وآلة حَرْبي الشهيرة وتحف قرسالية مع كتاب من خطّ يد الملك جاء فيهِ بعد المقدَّمات ما تعريبهُ :

« ان رعايتنا وحمايتنا لجميع النصارى الراتعين في ظلّ دولتك الرفيعة الشأن وخصوصاً الارمن الكاثوليك القاطنين مقاطعة غشيغان حملتنا كما حملت سلفاءنا من قبل ، ان تبدي لجلالتك عاطفة شكرنا عمَّا يلاقي رعاياك النصارى من حسن المعـاملة بناء على توصيـاتك الى من يتولَّون امرهم . وبما ان حكَّام المقاطعات يُبدّلون احيانًا بمن لم يكونوا قد وقفوا على افكار جلالتك ومقاصدك في الشؤون التي خصَّتنا فانا نُسَرّ ان تصدر إرادتك بتجديد اوامرك وتوصياتك الاولى لاولئك الحكام ليظلّ الارمن الكاثوليك شاعرين برعايتك وعنايتك . ونحن آملون ان تبسط دولتك حمايتها على جميع كنائس النصارى وترعى وتكرم بالاخصّ اسقف سيزاروبوليس حامل كتابنا هذا اليك وهو سفيرنا في بغداد ليعمل ، ما استطاع ، على توثيق عرى المودة وحسن المواصلة بين المملكتين لتكون علاقاتنا دائمةً ابديَّة كما نتمنَّى . ولنا ملء الثقة ان تشمل جلالتك بعنايتها الرهبان الافرنسيين المتيمين في مملكتك ، وبنوع اخصّ اليسوعيين الذين نزُفهم مزَّةً خاصة ثمَّ الذين يكونون ممثلين لديك في غيبة مطران سيزاروبوليس ، ذات اعتبارنا وحبّنا لك . ولسنا نشك ان تكون عظمتك واثقة باخلاص عاطفتنا هذه التي نبديها في كل فرصة تسنح . وعليهِ نسأل الله ان يزيدك عظمة وتأييدًا وبوليك آخرة سعيدة »

تحرَّر في قصر القديس جرمانوس في ٢٠ آذار سنة ١٦٨١

لويس

وقد اجاب الشاه الى ملتمس فرنسة جواباً لطيفاً على يد الاسقف بيكه وسلّمهُ هدايا ثمينة من طنافس عجميَّة ومنسوجات وطنيَّة غيرهـا . ودونك ما كتبهُ بعد السلام:

« ايها الامبراطور لويس يا من انت فخر الملوك بالجلال والعزَّة والمجد والنيطة التي فيك . يا من لهُ المقام الاعلى كالمنازل الاثني عشر السماوية ولهُ حميَّـةُ الاسد في المعارك . يـا من يشرق ببهائهِ على العرش الملوكي القائم فيه جلاله فوق جميع الملوك والامبراطرة المسيحيين اكراماً وسؤدداً . يا عـاهل مملكة فرنسة الاعظم اننـا تنهي الى جلالتك اننا حظينا من يـد مطران سيزاروبوليس بكتابك اللطيف الذي حمله الينا وهو يبرهن عن اخلاصك ومودتك لنا وتوثيقك عُرى الاتحاد الذي كان بين آباء جلالتك واسلافنا الاماجد . فان ذلك الكتاب قـد جدَّد في قلبنا عاطفة الحنان والمحبة القديمة والجديدة . وبما انك اوصيتنا بالنصارى الارمن الذين في مقاطعة نخشيفان بعبارات تستدعي التفاتنا ، فنحن نقول انه قد يحدث احياناً ما لا نريد عند تبديل الحكام بغيرهم ممن لا يكونون واقفين على توصيات جلالتك وعلى اوامرنا فلا يراعون الارمن . اما من جهة طلبك لإصـدار امر اوضح واجزم في شأن مطران سيزاروبوليس والمسيحيين الاوربيين الكاثوليك الرومانيين والاخصّ الاباء اللابسين الثوب الاسود (اليسوعيين) فحبيك بان ذلك قد اتركه فينا الملوكي الثالث . . . وقد سبق وعرفت قد اصدرنا حكماً قاطعاً وخـ[illegible] خاصة في شأن ذلك [illegible] قبلاً في كتابنا الاول هذا شأن . وقد الزم بكل ما فيهِ من قوَّة يقوم مقيمهم الحكام الجدد بحسب رتبة كل منهم بعض المساعي في هذه البلاد بأعمرنا لتصدر اوامرنا فيقوم بها عمالنا وخدمة سلطاننا الذي ظل الله على الارض . واننا نتمنى لك كل ما ترغب من الخير والتوفيق ! »

والكتاب مذيَّـل بختم الشاه رُسمت عليهِ هذه الكتابة : « الشاه عبَّاس خادم عليّ وليّ الله » وعلى دائرة الختم اسماء الاثني عشر اماماً . وقد أودع الكتاب في علبة ثمينة مربعة الشكل مغشاة بقماش ثمين مربوطة بشريطتين ذهبيتين في طرف كل منها رمَّانة جميلة . واذ سلم الشاه كتابه الى السفير بيكه قال لهُ : « احمل هـذا الكتاب الى صديقنا ملك فرنسة وسلّم عليهِ من قبلنا » ثم اوصى بان يرافقهُ احد الملازمين حتى همدان وان يجهّزوا لهُ عشرين جملاً وثمانية رؤوس من الخيل لاجل خدمهِ وحمل امتعتهِ

فشكر المطران للشاه تنازله وانعطافهُ وسألـه الاجازة له بالسفر والـلايون اليسوعيين الاقامة في اريفان لاجل عمل الرسالة فاولاه كل ما طلب ورخَّص للمرسلين بانشاء مراكز جديدة في جولفا وهمدان وران . واهم تلك المراكز دير الآباء اليسوعيين

في اريفان التي هي على مسافة من جبال ارارط واكثر سكانها من الارمن الغريغوريين ومنهم رهبان القديس باسيليوس القاطنين دير القديس غريغوريوس المنوّر في اتشميازين مركز بطريركهم ولذلك كان قصد السيد بيكه من نزول الآباء اليسوعيين ما بينهم ان يردُّوا اولئك الرهبان اذ على ارتدادهم يتعلق ارتداد بقيَّة الارمن

ما كاد السيّد بيكه ينتهي من هذه المهمَّة حتى عوَّل على السفر الى بغداد ليتولى فيها اشغال كرسيّهِ . واختار لمسيرهِ طريق همدان وهي في منتصف الطريق الى بغداد تارياً ان يسكن فيها ريثما تأتيهِ اجازة الباب العالي للدخول فيها . فكان خروج الاسقف من عاصمة العجم في ٢٠ أيار مصحوباً بدموع الكاثوليك واسف كلّ من عرفهُ

﴿السيد بيكه في همدان﴾ تُقطع الطريق بين اصفهان وهمدان بخمسة عشر يوماً إلَّا انَّ الملازم رفيقَ الاسقف بطمعهِ الاشعبيّ كان سبباً لتأخيرهِ في الطريق فلم يبلغ همدان الَّا في ١٥ حزيران فخرج لاستقبالهِ اسقف الارمن اسطفان وشعبهُ وفي مقدمتهم نائب حاكم البلد لغيبة سيّدهِ الحاكم في اصفهان وانزلوا السفير في دار اعدُّوها لهُ . واخذ الناس يتردَّدون اليهِ فرأى ان دارهُ قد تضيق عنهم فابتنى غرفاً بقربها باللبن وخصَّ منها غرفةً واسعة جعلها معبداً لصلاتهِ . فكان اذا انتهى من فرائضهِ الدينيّة يستقبل الوافدين وكان اكثرهم من الارمن الغريغوريين فجعل يرشدهم ويثبت لهم صحَّة الايمان الكاثوليكيّ فردَّ منهم كثيرين . لكنَّ اسقفهم امتعض من ذلك واعلن الحرم على من يزور السيّد الاسقف ونشر في حقّه الاراجيف حتى لم يَعُد يجسر احد على زيارتهِ إلَّا خفيةً وفي ظلمة الليل . وكان الاسقف الارمنيّ وشى بهِ الى نائب الحاكم وشكاهُ بزعمهِ انهُ يخدع الناس ويجعلهم فرنجاً . فصبر السيد بيكه على هذه الوشاية مدَّة ثمَّ كتب الى اصفهان يعلم حاكم همدان بسوء تصرُّف نائبهِ فأرسل للحال وعزلهُ واقام بدلاً منهُ نائباً آخر واوصاهُ بمجاملة السيد بيكه واكرامهِ . فخفَّت وطأة الاضطهاد وعاد الناس الى مقام الاسقف الصالح يرتشدون بامثالهِ واقوالهِ فعزَّى الله قلبهُ بارتداد كثيرين من الارمن الى ايمان القديس غريغوريوس ومنهم بعض وجوه الاكليروس

وفي اواخر شهر آب دعا السيد بيكه امين سرّهِ الكاهن سَفَر وطلب منهُ ان يسير الى باريس لينقل الى الملك لويس باسمهِ هدايا ملك العجم وسلَّمهُ رسالةً الى

جلالته مع رسائل اخرى الى كلّ اصحابه . فشقّ هذا الامر على سَفَر اذ لم يشأ ان يفارق سيّده لكنهُ رضي حبًّا به ان يقوم بهذه الخدمة وسافر بزيّ تاجر من تجار البلاد . فلمّا وصل الى حلب سالمًا ألحّ عليه ابناء وطنه وقنصل فرنسة مع سائر الاكليروس بان يقبل درجة الاسقفيّة على ماردين قبل مواصلة سَفَره فقبلها في الاحد الاوّل من الصوم من السنة ١٦٨٥ ثمّ اجر من الاسكندرونة الى فرنسة

﴿مرض السيد بيكه ووفاتهُ﴾ وكان السيد بيكه في تلك الاثناء قد شعر في شتاء السنة ١٦٨٥ بضعف عظيم في قواهُ حتى تأكّد قرب وفاته قبل بلوغه بغداد فأخذ يستعدُّ لآخرته فاهتمّ اوّلًا بامور الرسالة وكان اتاهُ مرسلان آخران درسا الارمنيّة فاقرّ المرسل «روك» في همدان وارسل الى قزوين رفيقهُ سَنسون ففتح هناك رسالة اتت بعد قليل باثمار طيبة . وكان كتب وصيّتهُ الاخيرة في ٩ ايلول سنة ١٦٨٤ وفي مضامينها شاهد حيّ على تجرُّده واتّضاعه العميق جاهر فيها بانهُ يريد «ان يموت ابن الكنيسة الرسوليّة الرومانيّة خاضعًا لقداسة البابا ومُسلّمًا بكل ما حدّدته الكنيسة من قضايا الايمان دون تمييز ولا استثناء» . وصرّح بارادته ان يكون دفنه دون مأتم حافل وان يقبر في مقبرة الارمن اذ لم يكن للكاثوليك سواها . ثمّ بيّن حسنات لاقامة القدّاسات عن نفسه واوصى بكل ما يملك من ثابت ومنتقل لمن يقام من الاساقفة خلفًا بعدهُ ومجاوريهم للمجمع المقدّس . وعهد بتنفيذ وصيّته الى رفيقيه الاربعين روك وسنسون . وكانت الوصيّة موقعة باسمه هكذا : «فرنسوا بيكه اسقف بابل ونائب رسولي على العجم»

وفي اوائل شهر آب ثقلت عليه وطأة المرض وهو مع ذلك لا يكفّ على قدر استطاعته عن تقدمة الذبيحة او تناول القربان وعيّد مع المرسلين عيد انتقال العذراء بعد ان عمّد ابنَ تاجر سوريّ من طائفة الروم كان وُلد في همدان

وبقي اياماً خائر القوى يستعدّ للاقاة ربّه بكل هدوء وراحة وتسليم الى ارادة الله رغمَ اوجاعه المؤلمة حتى كان ظهر اليوم ٢٦ من آب وكانت حاشيتهُ حولهُ فباركهم البركة الاخيرة وبعد قليل لفظ روحهُ الطاهرة بتمام الهدوء والسكينة ولهُ من العمر ٥٩ سنة واربعة اشهر

وقد أقيمت لهُ جنازة حافلة كما يليق بمقامه حضرها ارباب الدولة والارمن حتى

الذين كانوا ناصبوهُ في حياتهِ فقُبر كما شاء في المقبرة الارمنيَّة. لكنَّ جماعة اعدائهِ عادوا بعد حين وانقلبوا على المرسلين وطلبوا ان تُنقل رفات السيد بيكه من مقبرتهم فنُقلت الى معبدهِ. واذ فتحوا وقتئذٍ تابوتهُ رأوا يمينهُ سالمةً كأن الله اراد ان يبيّن للجميع رضاهُ من تلك اليمين المباركة آلة البرّ والحسنات. وكفى دليلًا عن عظم شأن الاسقف بيكه ما كتبهُ عنهُ الفارس دَرْفيو خلفهُ في قنصليَّة حلب ورفيق سفرهِ من مرسيليه قال: «كان بيكه رجلًا عجيباً في خدمة ربّهِ وخدمة مليكهِ» فكأنهُ يترجم لقول الشاعر العربي

ما أجمل الدين والدنيا اذا اجتمعا

ونسأل الله في الختام ان يقيّض للدولة الفرنسويَّة امثالًا من هؤلاء الابطال الذين بأعمالهم وعرق جبينهم قامت بنايةُ نفوذها في ديارنا الشرقيَّة بارك الله بكر الكنيسة الكاثوليكيَّة وجعلها ركناً لكل عمل خير فانهُ السميع المجيب

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث التاسع

ديانة اهل بيروت (تتمة)

ومع هذه الادلَّة على انتشار الدين المسيحي في بيروت نجد للوثنيَّة آثارًا باقية الى